بحوث ودراسات

الجذور التاريخية للوضع في الحديث

محمد أبو الليف الخير آبادي*

تكاد كلمة مؤرخي السنة تتفق على أن الوضع في الحديث، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ في الظهور بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والذي نتج عنه افتراق الأمة الإسلامية إلى شيع وأحزاب، والتباس الحق مع الباطل، والإخلاص مع الهوى، والحقيقة مع التأويل، غير أن الأحداث المصاحبة لمقتله لَتلقي ظلالا على أن الوضع في الحديث لم يظهر على أفق الإسلام إلاّ كإحدى حلقات المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين، التي دبرها ونسج خيوطها أبناء الأمم المنكوبة على أيدي المسلمين من اليهود والنصارى والفرس بهدف النيل من الإسلام والمسلمين، ثم تطور الوضع في الحديث من هدف إلى هدف، ومن سبب إلى سبب، بدأ من فضائل الصحابة، وانتهى بالأغراض الشخصية، وأتى من خلاله على جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة، ونحن في هذه الدراسة سوف نتناول الحديث عما تعرض له السابقون مثل ابن حبان وابن الجندي من المتقدمين، والشيخ السباعي وأستاذي الدكتور أكرم العمري والدكتور عمر بن حسنى فلأنه وغيرهم من المتأخرين، وما ظهر لنا زيادة عليهم من أسباب الوضع في الحديث والجذور التاريخية له، حسب تسلسلها الزمني بقدر المستطاع، ونقسمها تقسيما غير مسبوق إلى أسباب هادفة أولا، ثم إلى أسباب مساعدة ثانيا.

الأسباب الهادفة للوضع في الحديث:

1- الانتقام من الإسلام والمسلمين:

ظهر الوضع في الحديث أول ما ظهر بهدف الانتقام من الإسلام والمسلمين، تولاه اليهود الذين لهم ثأر قديم من المسلمين منذ ظهور الإسلام؛ حيث نحس به طالعهم، وتسلسل شقاؤهم، بدأ بخروج النبوة منهم إلى العرب أبناء إسماعيل ، ومرورا بنكاية المسلمين بأبنائهم في المدينة، وإجلائهم منها، ونهاية بتنكيل المسلمين بيهود خيبر، مما أرّقهم وأقضَّ مضجعهم طوال هذه المدة للانتقام من المسلمين، الذين لم تتحين لهم فرصة مواتية لذلك، إلى أن قتل الخليفة

* دكتوراه في الحديث من مكة المكرمة عام 1992م، وأستاذ الحديث المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد أحد أبناء الفرس كحلقة أولى للمؤامرة المجوسية الصليبية اليهودية، فزال من الطريق ذلك الرجل الصلب الذي كان قد وقف بشخصيته القوية الرهيبة الباطشة سدا منيعا لأي عمل يمس من وحدة المسلمين، وأمن الدولة الإسلامية، فسنحت لهم تلك الفرصة، وبدأت تباشير صبحهم للإشراق، وتأهَّب ليل انتظارهم للرحيل، لأن المدينة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه شهدت أحداثا أنذرت بأن الأمن ذاهب، والشر آت، حيث تمت تولية عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة بعده في جو تنافسي، خاصة بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،[1] ما عظَّم شأنه المغرِّضون فيما بعد، واستغلوه لأغراضهم الانتقامية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد حصلت في عهد عثمان رضي الله عنه أمور دون شعور منه أنكرها عليه بعض كبار الصحابة نصيحة له، بينما ضخَّمها بعضُ مَنْ ليسوا صحابة ممن لهم مواقف سلبية مع عثمان في مصالحهم الشخصية البحتة، واتخذوها ذريعة للوصول إلى غاياتهم، واجتمعوا في مصر، يحرضون الناس عليه وعلى أمرائه، فتكونت بذلك لهم في مصر والكوفة والبصرة جماعة يعملون ضد الخليفة وأمرائه في الخفاء ليل نهار، ويهيئون الجو للانتقام منه بعزلة عن الخلافة أو قتله، الأمر الذي كان إيذانا بأن وحدة الأمة الإسلامية إلى ذهاب، وإشارة خضراء لأعداء الإسلام والمسلمين المتربصين لعمل ما يثلج صدورهم، ويقر عيونهم.

ففي هذا الوضع المكفهر الغابش تحرك عبد الله بن سبأ اليهودي من اليمن متسترا بمسوح الإسلام، حاملا معه أفكارا غريبة فاسدة، جاء إلى الحجاز أولا في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، مستطلعا على أوضاع الخلافة عن كثب، وما آل إليه الأمر من تزعزع ثقة المسلمين بخليفتهم، واستيائهم من أمراء الخليفة في الكوفة والبصرة ومصر، ودبيب التصدع في صفوفهم، فانتهز هذه الفرصة الثمينة لتوسيع الهوة بين الخليفة والمسلمين، وتحويلها إلى فتنة ضاربة، وتوجه أولا إلى البلاد التي لأهلها شكاوى ضد أمرائهم، بغية كسب أصواتهم، وانضمامهم إليه لمشروعه وأهدافه، فنجح في مهمته في الكوفة والبصرة، ومر بالشام فطرد منها، ثم توجه إلى مصر، واتخذها مقرا له، حيث فيها عدد كبير من الناقمين على الخليفة وأمرائه، وعرض عليهم من أفكاره الفاسدة ما هو أكثر إتقانا في التخطيط، وأسرع إصابة بالهدف، ألا وهو فكرة وصاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، فقال:

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية (تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة دار العربي بالرياض): ج7، ص159-161.

"إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد". وقال أيضا": "محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء".[2]

وبدأ يؤلب الناس على الخليفة بهذه الفكرة التي مفادها أن عثمان ظالم، وعليا مظلوم، ويقول: "من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووثب على وصي رسول الله، وتناول أمر الأمة". وكان يقول أيضا: "إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله، فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه".

وخطط بداية العمل بالطعن على الأمراء مستظهرا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول: "وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.[3]

ظهرت فكرة وصاية علي في بداية الأمر كرأي لابن سبأ، ولكن مع مرور من الزمن، ورسوخ قدمه في مصر، وكون جماعته في ازدياد طوَّرها من رأي له إلى حديثٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول سيف بن عمر: "إنه يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟"، فيقول الرجل: نعم، فيقول له: "فرسول الله أفضل منه، فما يُنْكِرُ أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى بن مريم!!" ثم يقول: "وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء...".[4]

من الملاحظ في هذا النص أن ابن سبأ، كان ينشر تلك الفكرة على أنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وزورا، ليضفي عليها شرعية الحديث وقدسيته، لأنها إذا بقيت رأيا له، غير مدعم بمثل هذه الشرعية فربما يقابل بالرفض فيما بعد، بحجة أنه رأي لابن سبأ، وليس له من الأهمية ما يجعله محترما مقدسا.

ومما يؤيد وضع ابن سبأ حديث الوصاية ما روي عن أبي الطفيل يقول: "رأيت المسيب بن نجبة أتى به مُلَّبَبه يعني ابن السوداء، وعليٌّ على المنبر، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: "يكذب على الله، وعلى رسوله".[5] وقال الإمام الشعبي: "أول من كذب عبد الله بن سبأ".[6]

---

[2] ابن جرير الطبري: تاريخ الاسم والملوك (دار المعارف، القاهرة، ط/ثانية): 340/4.

[3] المصدر السابق.

[4] ابن كثير: البداية النهاية: 183/7.

[5] ابن منظور: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر: (تحقيق روحية النحاس، دار الفكر، ط/أولى، 1988م)، 222/11.

ولا يستبعد صدور هذا الكذب الصراح من ابن سبأ، وقد صدر عنه كذب أكبر منه أمام علي رضي الله عنه، وعلى مرأى من الناس ومسمع منهم، روي عن جابر رضي الله عنه قال: "لما بويع عليّ خطب الناس، فقام إليه عبد الله بن سبأ، فقال له: "أنت دابة الأرض"، قال: فقال له: اتق الله، فقال له: "أنت الملك"، فقال له: اتق الله، فقال له: "أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق"، فأمر بقتله، إلاّ أن أتباعه حاولوا دون ذلك، وانتهى الأمر بنفيه إلى ساباط المدائن.[7]

هكذا كان ابن سبأ ينشر فكرة وصاية علي في كل مكان ذهب إليه، فراجت فكرته هذه بين المسلمين في مصر والكوفة والبصرة، وشعروا بمظلومية علي، ونهضوا بالإنكار على عثمان، واعتدائه على علي، وذهب ستمائة من ثوارهم إلى المدينة لهذا الغرض، ولكنهم رجعوا خائبين، وما استطاعوا أن يفعلوا شيئا في هذه المرة، ولم يلبث الأمر حتى تكاتبوا فيما بينهم، وتراسلوا بكتب مزورة على لسان الصحابة الذين بالمدينة، وعلى لسان علي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم، يدعون فيها الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين، فخرج مرة ثانية إلى المدينة ثوار مصر، ومعهم ابن سبأ أيضا هذه المرة، وثوار آخرون من الكوفة والبصرة، بأعداد كبيرة، وباستعدادات أتقن، واضعين أمامهم كل الاحتمالات التي ستحدث في المدينة، والتدابير لمقاومتها والقضاء عليها حتى وقعت الفتنة التي أطاحت الخليفة عثمان رضي الله عنه، وتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة بعده، في جو مشحون بالشكوك والشبهات حوله، وتفرقت الأمة شيعا وأحزابا، ووقعت حروب دامية بين المسلمين، قتل فيها عدد كبير من المسلمين.

وبقيت شيعة علي حتى يومنا هذا ينادون بوصاية علي، وبمظلوميته، وجعلوها جزءا مهما من عقيدتهم، ووضعوا فيها أحاديث عديدة، هذه نماذج منها:

رووا عن بريدة مرفوعا: "لكل نبي وصي، وأن عليا وصيي ووارثي".[8] وعن سلمان الفارسي مرفوعا: "وصيي علي بن أبي طالب".[9] وعن أنس قال: قلت لسلمان: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصيّه؟ فقال له:

---

6 المصدر السابق: 221/11.

7 المصدر السابق: 222/11.

8 السيوطي: اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: دار المعرفة، بيروت، ط3، 1981م: 359/11.

9 المصدر السابق: 358/1.

سلمان، قال: من كان وصي موسى؟ قال: يوضع، قال: فإن وصيي ووارثي... وخير من أخلف بعدي علي".[10] وغيرها من الأحاديث في هذا المعنى.

وبذلك تحقق لابن سبأ ما كان يصبو إليه هو وقومه اليهود من الانتقام من الإسلام والمسلمين بتفريق كلمتهم، وكسر شوكتهم، وخلق العداء الدائم بينهم، وضرب بعضهم رقاب بعض.[11]

2- نصرة الأحزاب والأهواء السياسية:

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بويع علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخلافة، وذرَّت الفتن قرنها، فانقسم المسلمون إلى فريقين، فريق مع علي، وفريق يؤيد معاوية رضي الله عنه في مطالبته بدم عثمان ومعاقبة قتلته، ثم انقسم أصحاب علي إثر التحكيم في وقعة صِفِّين على ثلاثة أقسام شيعة علي، وخوارج، وقسم آخر محايد، وأصبح همّ كل فريق ما ذهب إليه وتأييده، وأنه الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بنصه أو بروحه، فهرعوا لدعم آرائهم بالدليل، إما من القرآن أو من السنة، فأنّى لهم ذلك من القرآن، وأما السنة فمجالها واسع، فتوجهت هم بعض أتباع هذه الفرق – ما عدا الخوارج لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر[12]- والمتعصبين لآرائها إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأول معنى طرقه الواضعون هو فضائل الأشخاص، فوضعوا أحاديث في فضل أئمتهم ورؤسائهم، وأحاديث في ذم خصومهم، وكان نصيب الشيعة منه كنصيب الأسد من فريسته، فقاموا بوضع أحاديث كثيرة في فضائل علي بن أبي طالب وآل البيت، يقول ابن أبي الحديد الشيعي المعتدل: "إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت

---

10 المصدر السابق: 398/1.

11 انظر أخبار عبد الله بن سبأ في: الفصل والنحل لابن حزم: (تحقيق د. محمد إبراهيم نصر وزميله، دار الجيل، بيروت، ط/أولى)، 274/2، والملل والنحل للشهرستاني: (مصطفى البابي الحلبي، 1967م)، 146/1، وأصل الشيعة وأصولها لمحمد محمد الحسين آل كاشف الغطاء: (طبع إيران، ط3، 1944م)، ص107-110.

12 مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (الكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط4، 1985م)، ص81-83.

البكرية (أصحاب أبي بكر رضي الله عنه (ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها في مقابلة هذه الأحاديث"،[13] وكان همُّ الشيعة إثبات الوصية بالخلافة لعلي من الرسول صلى الله عليه وسلم، فأفاضوا في هذا، وفي غيره أيما إفاضة.

فوضعت الشيعة أحاديث تبين المادة التي خلق منها دليلا على ميزته وفضله[14]، وأحاديث في سبقه للإسلام واستقرار الإيمان في قلبه قبل غيره،[15] وأحاديث تنص على أنه خير الناس مطلقا، ويكفرون من ينكر ذلك،[16] وأحاديث تتوعد من لا يحبه، فضلا عمن يبغضه ويشنأه،[17] وأحاديث تنص على أنه ورائه صلى الله عليه وسلم، وأنه وصيه بعده[18] – وقد تقدم البعض منها، وقد أُلِّفَت في مثالب الشيخين أبي بكر وعمر كتبٌ لو بحثنا عن مؤلفيها لوجدناهم من الشيعة، ووضعوا أحاديث في ذم معاوية على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر فيها بقتله،[19] ويوعده على ولايته،[20] ويدعو عليه وعلى عمرو بن العاص بالإركاس والدع في النار،[21] بل لم يقتصروا على ذلك، بل ألحقوا بني أمية كلهم، وتقوّلوا على رسول الله أنه قال: "إن الله عناهم بقوله: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ (الإسراء: 60)،[22] حتى قال بعض الحفاظ حسبما حكاه الخليلي: "تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزادوا على ثلاثمائة ألف،[23] وعلق عليه ابن القيم فقال: "ولا تستبعد هذا فإنك لو تتبعت ما عندهم من ذلك لوجدت الأمر كذلك".[24]

---

13 ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: (طبع البابي الحلبي بمصر)، 42/11 و48. وينظر السيوطي، اللالي المصنوعة (تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، ط/أولى، 1378هـ)، 286، 315-317؛ وابن عواق: تنزيه الشريعة: ج1، ص371 وج2، ص4.

14 ابن الجوزي: الموضوعات: (تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط/ثانية، 1983م)، 340/1-339.

15 المصدر السابق: 340/1-341.

16 المصدر السابق: 347/1-349.

17 المصدر السابق: 385-386.

18 المصدر السابق: 346/1-347.

19 المصدر السابق: 24/2-26.

20 المصدر السابق: 28/2.

21 المصدر السابق: 28/2.

22 انظر الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن (دار المعرفة، بيروت، ط1، 1986م)، ج5، ص654.

23 الخليلي: الإرشاد (تحقيق محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد بالرياض، ط1، 1989م)، ج1، ص420.

24 المنار المنيف: (تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط/أولى، 1270م)، ص116.

وقابلهم من أهل السنة بعض الجهلة ممن أخذتهم العزة بالإثم، قابلوا الشر بمثله، فوضعوا أحاديث في فضل الشيخين وعثمان بن عفان انتصارا لهم، مع أنهم في غنى عن ذلك كله، وأحاديث في فضائل الخلفاء الراشدين الأربعة مجتمعين رأيا للصدع بين أهل السنة والشيعة،[25] كما وضعوا أحاديث في فضل معاوية، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية"،[26] وأن الله خصه بقلم من ذهب دون سائر كتبة الوحي، أهداه إليه،[27] وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه سهاما أو سفرجلات، ووعده أن يلقاه بهن في الجنة،[28] إلى غير ذلك من الأحاديث التي يلمح فيها الناظر أنها افتراء محض، ووضعوا أحاديث أخرى في فضائل الصحابة عامة أيضا،[29] مما يعكس الصراع الفكري والسياسي بين الأحزاب المختلفة. إما نصرة لأحزابهم وأهوائهم، وإما رغبة في فكّ الخلافات بين الناس المتصارعين.

3- نصرة المذاهب العقدية:

في أواخر عصر الصحابة، وبالتحديد في عهد عبد الله بن الزبير (ت75هـ) وعبد الملك بن مروان(ت86هـ) ظهرت بدعة القدرية والمرجئة، ثم بزغت بدعة الجهمية المشبهة مع بداية عصر التابعين، ثم تلتها بدعة القول بخلق القرآن، إلى غيرها من البدع التي كان ميدانها العقيدة الإسلامية، وكل هؤلاء لجأوا إلى الوضع في الحديث تأييدا لبدعهم، وانتصارا لمذاهبهم، وهذه نماذج منها:

وضعت القدرية حديث: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فالسعيد من وجد لقدمه موضعا، فينادي منادٍ من تحت العرش، ألا من برّأه ربه من ذنبه فليدخل الجنة". فرد عليها مخالفوها من أهل السنة بحديث ذكروا فيه خصومة أبي بكر وعمر في القدر، وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بأن جبريل وميكائيل وقعا في الخصومة نفسها، وأنه صلى الله عليه وسلم قضى فيها بين أبي بكر وعمر بقضاء إسرائيل بين جبريل

---

[25] الموضوعات: 304/1-313 وما بعدها.

[26] المصدر السابق: 16/2-20.

[27] المصدر السابق: 15/2-16.

[28] المصدر السابق: 20/2-23.

[29] المصدر السابق: 23/2-26، والسيوطي: الآلي المصنوعة: 428/1.

وميكائيل، فقال: "أوجب القدر خيره وشره، وضره ونفعه، وحلوه ومره، فهذا قضائي بينكما..."، ثم قال: "يا أبا بكر إن الله لو لم يشأ أن يُعصى ما خلق إبليس..."،[30] وغيره من الأحاديث على هذا النمط.

ووضعت المرجئة حديث: "قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: جئناك نسألك عن الإيمان أيزيد أو ينقص؟، قال: "لا، الإيمان مثبت في القلب كالجبال الرواسي، وزيادته كفر، ونقصانه كفر".

فرد عليهم مخالفوهم بوضع حديث: "الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص".[31]

ووضع مخالفوا هذه البدع من جهلة أهل السنة والجماعة حديثاَ جعلوه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :إن الله لعن أربعة على لسان سبعين نبيا"، قلنا: من هم يا رسول الله؟ قال: "القدرية والجهمية والمرجئة والروافض"، قلنا: يا رسول الله ما القدرية؟ قال: "الذين يقولون: الخير من الله، والشر من إبليس، ألا إن الخير والشر من الله، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله"، قلنا: فما الجهمية؟ قال: "الذين يقولون: إن القرآن مخلوق، ألا إن القرآن غير مخلوق، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله"... إلى أن سألوه عن المرجئة والروافض، وعرفهم بها النبي صلى الله عليه وسلم.[32] هذه وأمثالها كثير في كتب الموضوعات، التي تعبر عن مدى الصراع القائم بين أهل السنة والجماعة وأهل البدع والنحل الأخرى.

4- تنفير الناس عن الإسلام:

تولى كبره جماعة من الزنادقة والملحدين الذين اندسّوا في صفوف المسلمين لإفساد الدين عليهم، وإيقاع الشكوك في قلوبهم تجاهه، ومعهظمهم من الأقوام المغلوبة، وبعض الشعراء الماجنين، ظهروا – فيما يبدو- في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي امتدت خلافته من 136هـ إلى 158هـ حيث قتل البعض منهم على زندقتهم مثل الجماعة الريوندية التي ظهرت في سنة 141هـ، وهم خراسانيون يقولون بالتناسخ، وزعموا أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك، وأن الهيثم بن معاوية جبريل. وقُتِلُوا في

---

30 انظر هذين الحديثين في المصدر السابق: 1/272-274.

31 انظرهما في المصدر السابق: 1/129-131.

32 المصدر السابق: 1/276.

السنة نفسها.[33] وقُتِلَ عبد الله بن المقفع كاتب كليلة ودمنة في سنة 145هـ على يد سفيان بن معاوية نائب البصرة على زندقته.[34] وقَتَل المنصور محمد بن سعيد الشامي وصلبه،[35] والذي وضع أربعة آلاف حديث. وفي عهد المهدي (158- 169هـ) وبالتحديد في سنة 163هـ ظهر عطاء المقنّع الساحر بناحية مرو، وادعى الربوبية، وقال بالتناسخ، ولما أيقن بالموت قتل نفسه وعائلته بالسم.[36] وجَدَّ المهدي في سنة 167هـ في تتبع الزنادقة، وأعمل فيهم القتل، منهم الشاعران: بشار بن برد مولى عقيل مع طخارستان، وحماد عجرد مولى بني سواد.[37] وسار على سيرته في قمع الزنادقة هارون الرشيد (170- 193هـ) فقتل خلقا كثيرا منهم سنة 170هـ.[38]

هؤلاء الزنادقة وضعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تستهجنها النفوس، وتستحيلها العقول، قاصدين بذلك تشويه صورة الإسلام، وإظهاره بمظهر الدين اللامعقول، البعيد عن العقل، المليء بالتناقضات، ليتنفر عنه الناس، وليسخروا منه، واستخفوا به، يقول ابن قتيبة (ت 276هـ): "الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة، منها الزنادقة واحتيالهم للإسلام، وتهجينه بدسّ الأحاديث المستشنعة والمستحيلة".[39]

وقال ابن حبان (ت 354هـ) في حديثه عن الزنادقة: "يعتقدون الزندقة والكفر، ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن، ويتشبّهون بأهل العلم، ويضعون الحديث على العلماء، ويروون عنهم، ليوقعوا الشك والريب في قلوبهم، فهم يَضِلّون ويُضِلّون، فيسمع الثقات منهم ما يروون، ويؤدونها إلى من بعدهم فوقعت في أيدي الناس حتى تداولوها بينهم.[40]

فوضعوا في وصف الذات الإلهية أحاديث تتنافى مع تنزيه الله سبحانه عن مشابهة الحوادث، منها حديث: "قيل: يا رسول الله مم ربنا؟ قال: ... خلق خيلا، فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق", وضعه محمد بن

---

33 الذهبي: دول الإسلام: (طبع قطر، ط/أولى، 1988م)، 96/1، وابن كثير: البداية والنهاية: 88/10.

34 ابن كثير: البداية: 111/10.

35 الذهبي: الميزان: (تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط/أولى، 1963م)، 562/3، وابن حجر: التقريب: (تحقيق الشيخ محمد عوامة، دار الرشيد بحلب، ط/ثانية، 1991م)، ص480 رقم 5907.

36 ابن كثير: البداية: 167/10.

37 الذهبي: دول الإسلام: 111/1، وابن كثير: البداية: 131/10 و132 و171.

38 ابن كثير: 184/10.

39 ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث: (دار الكتاب العربي، بيروت)، ص355-356.

40 ابن حبان: المجروحين: (تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الباز بمكة، دون رقم الطبعة وسنتها)، 63/1-62.

شجاع الثلجي (البغدادي ت 266هـ).[41] وحديث: "رأيت ربي يوم النفر على جمل أورق، عليه جبة صوف أمام الناس".[42] وحديث: "إن الله إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته".[43]

ووضع محمد بن سعيد الشامي المصلوب المذكور سابقا حديث: "أنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، إلا أن يشاء الله"، زاد في الحديث الصحيح هذا الاستثناء: "إلا أن يشاء الله" لدعم ما كان يدعو إليه من التنبؤ.[44] وكان يقول: "لا بأس إذا كان كلاما حسنا أن تضع له إسنادا.[45]

قال ابن الجوزي: "ولقد أدخل جماعة من الزنادقة في أحاديث الصفات أشياء يقصدون بها عيب الإسلام واحتمال الشك في قلوب المسلمين".[46] ولم يكتفوا بذلك في محاولتهم لتشويه العقيدة الصافية، بل اختلقوا أحاديث يحلون فيها الحرام، ويحرمون الحلال، فهذا عبد الكريم (أو محمد) بن أبي العوجاء، لما أُخِذَ وأُتِيَ به إلى والي المنصور على البصرة والكوفة محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي (146هـ-155هـ)، وأيقن بقتله قال: "لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أحرم فيها الحلال، وأحل فيها الحرام، ولقد فطّرتُكم في يوم صومكم، وصَوَّمتكم في يوم فطركم".[47]

واعترف بعضهم بوضع الأحاديث على إثر توبته وندمه، قال ابن لهيعة (ت174هـ): دخلت على شيخ وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: "وضعت أربعمائة حديث، أدخلتها في برنامج الناس، فلا أدري كيف أصنع".[48]

وقال الخليفة المهدي: "أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث، فهي تجول في أيدي الناس".[49]

---

41 ابن الجوزي: الموضوعات: 105/1. وانظر الذهبي: الميزان: 577/3-579.

42 علي القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: (تحقيق أبي طاهر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، 1985) ص126، حديث 477.

43 ابن حبان: المجروحين: 165/1.

44 السيوطي: تدريب الراوي: (تحقيق عبد الوهاب عن الطيف، دار الفكر، بيروت، 1966م)، 284/1.

45 الذهبي: الميزان: 562/3، والسيوطي: التدريب: 284/1.

46 ابن الجوزي: الموضوعات: 127/1.

47 ابن الجوزي: الموضوعات: 37/1، والسيوطي: التدريب: 284/1.

48 ابن حبان: المجروحين: 63/1.

49 ابن الجوزي: الموضوعات: 37/1-38.

وقال حماد بن زيد (ت 179هـ): "وضعت الزنادقة على رسول الله أربعة عشر ألف حديث".[50]

5- العصبية للقبيلة والجنس والبلد:

العصبية للقبيلة، والمناداة بفضلها، والفخر والمباهاة بها من شعارات الجاهلية ونعراتها، قضى عليها الإسلام بإقامة المساواة بين الناس، وأن لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، فاختفت تلك العصبية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهود الخلفاء الراشدين، وبدأت تظهر بعد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، حيث قامت الحكومات بعده على أكتافها.

ونتيجة لاستقرار العرب في المدن المفتوحة، واختلاطهم بالأعاجم، والتصاهر بين الأجناس المختلفة في مدينة واحدة، ظهر التعصب للمدن والأجناس، والتنافس بين اللغات والألوان، بجانب إيثار بعض الخلفاء في الدولة الأموية والعباسية بعض القبائل أو الشعوب، وتفضيل بعض الأجناس على الأخرى، وتوليتهم مهام أمور الدولة.

فنتيجة لهذا كله تجرأ بعض من لا خلاق له على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضيلا لقبيلة على أخرى، أو جنس على آخر، أو بلد على سواه، حتى –كما قال أستاذي فضيلة أكرم العمري- لا تكاد تخلو مدينة من المدن الإسلامية من أحاديث وضعت لها أو عليها،[51] وأقرب زمنٍ لظهور هذا الاتجاه – فيما يبدو لي- هو القرن الثاني الهجري.

فقد وضع هلال بن عبد الرحمن الحنفي (من القرن الثاني) حديثا نسبه إلى جابر بن عبد الله أن رجلا قُتِل بالمدينة، لا يُدْرى من قتله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم" :أبعده الله، إنه كان يبغض قريشا".[52]

ووضع يحيى بن أبي سليمان المدني (من القرن الثاني) حديث: "دعوني من السودان، إنما الأسود لبطنه وفرجه"،[53] ووضع عنبسة بن سعيد البصري (من القرن الثاني) حيث: "الزنجي إذا شبع زنى، وإذا جاع سرق، وإن فيهم لسماحة ونجدة".[54]

---

50 المصدر السابق: 38/1، والسيوطي: التدريب: 284/1.

51 أكرم العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة: ص42، (مكتبة الغلوم والحكيم بالمدينة، ط4، 1984م).

52 ابن عراق: تنزيه الشريعة: 28/2.

ووضع يحي بن بُرَيْد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (من القرن الثاني) حيث: "أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي".[55]

ووضع إسماعيل بن زياد السكوني قاضي الموصل (من القرن الثاني) حديث: "أبغض الكلام إلى الله تعالى الفارسية، وكلام الشيطان الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنة العربية.[56]

ووضع عمر بن موسى بن وجيه الأنصاري الدمشقي (من القرن الثاني) حديث: "إن الله إذا غضب أنزل الوحي بالعربية، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية"،[57] وفي طريق آخر "جعفر بن الزبير" الدمشقي نزيل البصرة (ت فيما بين 140-150هـ.)

أما الأحاديث التي وضعت في فضل المدن فهي كثيرة –كما أشرتُ إليها- منها:

حديث: "إني لأعرف أرضا يقال لها البصرة أقومها قبلة، وأكثرها مساجد، ومؤذنين، يدفع الله عنها من البلاء ما لم يدفع عن سائر البلاد" وضعه محمد بن يونس الكديمي البصري (ت 286هـ)،[58] وحديث: "يأتي على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جده" وضعه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني مولى ابن عمر (من القرن الثاني)،[59] وحديث: "إذا ذهب الإيمان من الأرض وجد ببطن الأردن" وضعه أحمد بن كنانة الشامي[60] الذي يروي عن مقسم (ت101هـ) وابن المنكدر (130هـ) وغيرهما، ويروي عنه عثمان الطرائفي (ت202هـ) وغيره.[61]

---

53 ابن عراق: 31/2.

54 ابن عراق: 31/2.

55 ابن عراق: 30/2. والألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (المكتب الإسلامي بيروت، ط/أولى، 1399هـ)، 193/1-189 رقم 160 و161.

56 ابن الجوزي: الموضوعات: 111/1، والذهبي: الميزان: 230/1.

57 ابن الجوزي: 111/1، وابن عدي: الكامل: (دار الفكر ببيروت، ط/ثانية، 1985م)، 1670/5.

58 ابن الجوزي: العلل المتناهية: (تحقيق إرشاد الحق الأثري، باكستان، ط/أولى، 1401هـ)، 312/1.

59 ابن عراق: 46/2، والذهبيك الميزانك 617/3.

60 ابن الجوزي: العلل المتناهية: 311/1، وابن عراق: تنزيه الشريعة: 57/2.

61 الذهبي: الميزان: 129/1.

وأحاديث أخرى كثيرة في فضائل أو مثالب بعض البلاد الأخرى مثل مكة والمدينة وبيت المقدس، ودمشق والإسكندرية ومصر وطبرية، وصنعاء وبغداد، وعسقلان وقزوين ونصيبين، والقسطنطينية وإنطاكية.

6- الرغبة في صلاح الناس وزهدهم:

أصحاب هذه الرغبة هم المنسوبون إلى الزهد والصلاح، والورع والتقوى، يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغّبوا بها الناس في عمل الخير، ويرهّبوهم عن الشر والمعاصي، ويرققوا قلوبهم، وظهرت هذه الرغبة في القرن الثاني فيما يبدو.

فهذا أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي الذي تولى قضاء مرو في حياة الإمام أبي حنيفة، في خلافة أبي جعفر المنصور، وتوفي سنة 173هـ، وضع أحاديث في فضائل القرآن سورة عن عكرمة عن ابن عباس، فقيل له: من أين لك هذا عن عكرمة، وليس عند أصحابه هذا؟ فقال: "إني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذا الحديث حسبة".[62] وقال ابن مهدي (ت198هـ) لميسرة بن عبد ربه الفارسي ثم البصري (من القرن الثاني): "من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا كان له كذا؟ قال: وضعته أرغب الناس".[63] وأخرج ابن الجوزي قول بعضهم: "إنا اجتمعنا فرأينا الناس قد رغبوا عن القرآن، وزهدوا فيه، وأخذوا في هذه الأحاديث، فقعدنا فوضعنا لهم هذه الفضائل، حتى يرغبوا فيه".[64]

وهذا عبد الله بن المسور الهاشمي المدائني (من علماء القرن الثاني)، قال علي بن المديني (ت 234هـ):"كان عبد الله بن المسور يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يضع إلاّ ما فيه أدب وزهد، فيقال له في ذلك، فيقول: إن فيه أجرا".[65]

---

62 ابن الجوزي: الموضوعات: 240/1، والذهبي: الميزان: 279/4-280.

63 ابن حيان: المجروحين: 64/1.

64 ابن الجوزي: الموضوعات: ج1، ص241.

65 ابن الجوزي: الموضوعات: 41/1، الذهبي: الميزان: 141/1.

وهذا غلام الخليل أحمد بن محمد بن غالب الباهلي، زاهد بغداد (ت275هـ) الذي أغلقت أسواق بغداد على موته، وضع كثيرا من الأحاديث في الرقائق، قد سئل عنها فقال: "وضعناها نرقق بها قلوب العامة".[66] ذكر الإمام أبو داود أنه وضع أربعمائة حديث.[67]

وتأولوا حديث: "من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" بأن الوعيد فيه لمن يكذب إساءة للدين، وإضلالا للناس، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأما نحن فنكذب لصالح النبي صلى الله عليه وسلم، ولصالح دينه، ولهداية الناس.[68]

وقد وضع هؤلاء الكذبة أحاديث في فضائل القرآن وثواب قارئيه، وأحاديث تشرع صلواتٍ متعددة في أوقات معلومة، وأيام مخصوصة لأغراض شتى، وصلواتٍ في مناسبات خاصة مثل ليلة عاشوراء، والنصف من شعبان، وعيد الفطر، وغيرها، وأحاديث تحمل الناس على الطاعة والزهد، والتحلي بكريم الخصال وفضائل الأعمال.[69]

وهذا الصنف من الكذبة أشدهم ضررا بالدين، وأكثرهم خطورة عليه، لأنهم أدخلوا في الدين ما ليس منه، مستغلين ثقة الناس بهم، وشهرتهم بين الناس بالزهد والصلاح، والتدين والتقوى، يقول ابن الصلاح (ت 643هـ) في مقدمته: "والواضعون للحديث أصناف، وأعظمهم ضررا قوم من المنسوبين إلى الزهد، وضعوا الأحاديث احتسابا فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم، وركونا إليهم".[70]

صدق ابن الصلاح رحمه الله، فقد دخلت عن طريقهم في فضائل الأعمال والأوراد والأذكار، والزهد والرقائق، وغيرها، أحاديث لا سلطان لها سوى أنها جاءت عن أناس مشهورين بالزهد والصلاح، فقبلت على أنها صحيحة، فانتشرت بذلك بدع وخرافات لا قبل لها في الإسلام، لذلك لا نكاد نسمع وعظا لبعض المرشدين، أو محاضرة لبعض الأساتذة أو خطبة من خطيب، إلا ونجد فيها شيئا من تلك الأحاديث الموضوعة، وهذا أمر خطير جدا يخشى عليهم جميعا أن يدخلوا بسببه تحت وعيد قوله صلى الله عليه وسلم" :من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" – وهو

---

66 الخطيب: تاريخ بغداد: (مكتبة المثنى ببغداد، ط/أولى، 1349هـ)، 79/5.

67 الذهبي: الميزان: 504/2، وابن حجر: لسان الميزان: (دار الفكر ببيروت، دون رقم الطبعة وسنتها)، 241/2.

68 انظر: السيوطي: التدريب: 283/1.

69 انظر كذلك: الدكتور عمر فلاتة: الوضع في الحديث: (مؤسسة مناهل العرفان ببيروت، ط/أولى، 1981)، 269/1-265.

70 ابن الصلاح: المقدمة: ص212، (تحقيق الدكتورة عائشة).

حديث متواتر– فإنهم وأن لم يتعمدوا الكذب مباشرة فقد ارتكبوه تبعا لنقلهم الأحاديث التي يقفون عليهم جميعا، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم" :كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع" وهو حديث صحيح رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه.

7– نصرة المذاهب الفقهية:

مما لا يسع أحدا إنكاره أن الخلاف بين الأئمة المجتهدين في بعض المسائل الفقهية الفرعية أمر طبيعي، ناجم عن الأدلة ذاتها، وهو أمرٌ أذن به الشرع دفعا للعنت، ورفعا للحرج، ووعد للمجتهدين بالأجر والثواب، ولا نجد أحدا من الأئمة المجتهدين عاب مَنْ خالفه فيما ذهب إليه، بل – على عكس ذلك– كل منهم كان يجل الآخر، ويحترمه ويحترم آراءه، وربما يأخذ عنه، ولكن الجهلة وسخفاء العقول وضعفاء الذمة من أتباعهم اتخذوا من هذه الخلافات طريقا إلى الجدل العقيم، وتراشقوا التهم فيما بينهم، وكل منهم رفعوا من قدر إمامهم حتى عَرَّشوه على الثريا، وانتقصوا من لم يقلدوه حتى دسّوه في الثرى.

ويبدو لي أن هذه العصبية المذهبية ظهرت بعد وفاة الإمام الشافعي (ت204هـ)، واشتدت حتى ذهبت بهم إلى أبعد مدى في الحقد والكراهية، ودفعت بهم إلى أن يضعوا أحاديث في فضل إمامهم، وأحاديث فيما ذهب إليه من آراء وأقوال تقديسا له ولآرائه.

فهذا مأمون بن أحمد السلمي (من رجال القرن الثالث، دخل الشام حسب قوله سنة 250هـ) قيل له: ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان؟ فقال: حدثنا أحمد (وهو ابن عبد الله الجويباري، أحد الكذابين)، وذكر سنده عن أنس مرفوعا: "يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي"، قال الخطيب: هكذا حدث به في بلاد خراسان، ثم حدث به في العراق، وزاد فيه: "وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس، فتنته أضر على أمتي من فتنة إبليس".[71]

[71] الخطيب: تاريخ بغداد: 309/5، وابن الوزي: الموضوعات: 48/2، وابن عراق: تنزيه الشريعة: 30/2، والذهبي: ميزان الاعتدال: 429/3.

وروى ابن عدي من طريق أحمد بن عبد الله الجويباري المذكور عن أنس مرفوعا: "سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت، ويكنى أبا حنيفة، ليَحْيَيَنَّ دينَ الله وسنتي على يديه".[72]

وبالمقابل من ذلك وضع مروان بن سالم الجزري حديثا في فضل الإمام الشافعي، يقول: "عالم قريش – يعني الشافعي- يملأ الأرض علما".[73]

ومن هذا القبيل ما وضعه البعض ثلبا بأصل الحديث مثل ما وضعه محمد بن شجاع الثلجي الحنفي ببغداد (ت 266هـ) في التشبيه كما سبق. ومما وضعوه في شأن بعض مسائل الفقه حديث: "المضمضة والاستنشاق للجنب ثلاثا فريضة"،[74] وحديث: "من رفع يديه عن الركوع والرفع فلا صلاة له"،[75] وحديث: "من أفرد الإقامة فليس منا"،[76] وبالمقابل منها حديث: "رفع الأيدي في الصلاة من الاستكانة..."،[77] وحديث: "لا يجتمع على مؤمن خراج وعشر"،[78] وما إلى ذلك من أحاديث في المسائل المختلف فيها بين الأحناف والشوافع خاصة.

8- الأغراض الدنيوية الشخصية:

يختلف هذا السبب لوضع الأحاديث عن سابقاته اختلافا جذريا، حيث طابعها جماعي أخروي، يهدف إلى خدمة عقيدة ودين، أو نصرة جماعة ومذهب، أو رغبة في إصلاح الناس، يأملون من وراءه الأجر والثواب في الآخرة، بينما هذا الدافع يهدف إلى عائد فردي دنيوي كحطام يجمعه، أو منزلة ينشدها، أو شهرة يكتسبها، وظهر أصحابه في قرون مختلفة لذلك أخرناه عن سابقاته على الرغم من تقدم وفاة بعض واضعيه، وتتمثل تلك الأغراض الدنيوية الشخصية فيما يأتي:

أ- التقرب على الحكام:

---

72 ابن عدي: الكامل: 182/1، والخطيب: تاريخ بغداد: 289/2، وابن الجوزي: الموضوعات: 49/2.

73 الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: (تحقيق عبد الرحمن المعلمي، مطبعة السنة المحمدية، 1960م)، ص420، والذهبي: الميزان: 90/4-91.

74 ابن عراق: تنزيه الشريعة: 67/2.

75 المصدر السابق: 79/2.

76 المصدر السابق: 79/2.

77 ابن الجوزي: الموضوعات: 99/2.

78 المصدر السابق: 151/2، واللالي المصنوعة: 70/2.

واضح الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرض التقرب إلى الملوك والحكام يأتي إليهم، ويتملقهم بالباطل، فيضع لهم من الأحاديث ما يؤيدهم فيما هم عليه من ظلم، أو لهو، أو بطالة، أو فساد، إلاّ أن حوادث الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الغرض قليلة لا تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة،[79] وممن عرف بوضع الحديث تملقا للملوك:

غياث بن إبراهيم بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي (من القرن الثاني): كان يرتاد إلى الخليفة العباسي المهدي (ت 169هـ)، فأدخل عليه مرة، وأمامه حمام كان يلعب بها، فقيل له: "حدِّث أمير المؤمنين"، فحدثه بحديث أبي هريرة: "لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر"،[80] وزاد فيه: "أو جناح"، فأمر له المهدي بعشرة آلاف، فلما قام قال مهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما استجلبت ذلك أنا، فأمر بذبح الحمام، فذبحت، فما ذكر غياثا بعد ذلك.[81] وفي رواية أخرى: قال المهدي: "أشهد أن قفاك كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :جناح"، ولكنه أراد أن يتقرّب إليّ.[82]

ومقاتل بن سليمان بن بشر البلخي (ت 150هـ): قال الخليفة المهدي: لما أتانا نعي مقاتل اشتد ذلك علي، فذكرته لأمير المؤمنين أبي جعفر، فقال: لا يكبر عليك فإنه كان يقول: أنظر ما تحب أن أحدثه فيك حتى أحدثه".[83] وقال المهدي أيضا: قال لي مقاتل: "إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس"، فقلت له: لا حاجة لي فيها.[84]

ووهب بن وهب أبو البختري القاضي القرشي المدني (ت 200هـ): قال أبو سعيد العقيلي: لما قدم الرشيد (ت 193هـ) المدينة أعظم أن يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قِباء أسود ومنطقة، فقال أبو البختري: "حدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه قباء ومنطقة محنجرا فيها بخنجر".[85] وقال زكريا الساجي: "بلغني أن أبا البختري دخل على (هارون الرشيد) –وهو قاض–، وهارون إذ ذلك يطير الحمام،

---

79 انظر كذلك: الدكتور عمر فلاتة: الوضع في الحديث: 270/1.

80 السبق: ما يجعل من المال وهنا يعطى للفائز في المسابقة. والمراد بالخف: الإبل، وبالنصل: السهم، وبالحافر: الفرس.

81 الخطيب: تاريخ بغداد: 323/12-324.

82 المصدر السابق: 324/12.

83 المصدر السابق: 167/13.

84 المصدر السابق: 167/13.

85 المصدر السابق: 452/13.

فقال: هل تحفظ في هذا شيئا؟ فقال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطير الحمام. فقال: اخرج عني لولا أنه رجل من قريش لعزلته".[86]

وقال الأدلبي: "وربما كان بعض ما وضع في الفضائل سببه التقرب إلى الحكام، كالذي ورد في دمشق وحمص بالنسبة إلى الأمويين، وفي بغداد بالنسبة إلى العباسيين".[87]

ب– القصص والوعظ:

دور القصاص والواعظين في وضع الأحاديث كبير لا يستهان به، حملهم على ذلك حب التكسب للدريهمات، وابتزازهم للعوام على أن يأتوا بغرائب الأخبار، وعجائب الحكايات، وخوارق الأساطير المختلقة الهائلة التي تَشْدَهُ السامعين، وتفتح الأفواه والآذان، وتبكي العيون، وتحزن القلوب، فمما وضعه القصاص والواعظون:

حديث: "من قال: لا إله إلا الله يُخْلَقُ من كل كلمة طيرٌ، منقاره من ذهب، وريشه من مرجان..."، حدث به قاص في مسجد الرصافة بين يدي أحمد بن حنبل ويحيى بن مدين عنهما وهما لا يدريانه، وأخذ في قصة نحو عشرين ورقة.[88]

وحديث: "إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب، مسرجه بالدر والياقوت، لا تروث ولا تبول، ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا...".[89]

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: "وقد كثرت أكاذيب القصاص واختراعاتهم للأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطفحت كتب الموضوعات من أحاديثهم ومختلقاتهم، وألّف في كشفها جمهرة من العلماء، منهم الشيخ ابن تيمية: (أحاديث القصاص)، والحافظ العراقي: (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)".[90] قلت: وقبل الإمام ابن تيمية ألف الإمام ابن الجوزي "كتاب القصاص والمذكرين"، نبه فيه على خطرهم البالغ، فقال:

---

86 المصدر السابق: 453/13.

87 الإدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي: (دار الآفاق الجديدة ببيروت، ط/أولى، 1983م)، ص53–54.

88 ابن حبان: المجروحين: 85/1، وابن الجوزي: الموضوعات: 46/1.

89 ابن عراق: 378/2.

90 لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث: ص58–59، (مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط/أولى، 1984م).

"والقاص يروي للعوام الأحاديث المنكرة، ويذكر لهم ما لو شمّ ريح العلم ما ذكره، فيخرج العوام من عنده يتدارسون الباطل، فإذا أنكر عالم قالوا: قد سمعنا هذا بـ"أخبرنا وحدثنا"، فكم قد أفسد القصاص من الخلق بالأحاديث الموضوعة!! كم لون قد أصفر بالجوع!! وكم هائم على وجهه بالسياحة!! وكم مانع نفسه ما قد أبيح!! وكم تارك رواية العلم – زعما منه- مخالفة للنفس في هواها في ذلك!! وكم مؤتم أولاده بالزهد وهو حي!! وكم معرض عن زوجته لا يوفيها حقها، فهي لا أيم، ولا ذات بعل!!".[91]

ج- تنفيق سلعة من السلع التجارية:

قد اندفع بعض من آثر الدنيا على الآخرة إلى وضع الأحاديث في فضل بعض السلع التجارية، لتنفيقها وترويجها، فقد وضعت أحاديث في فوائد وفضائل بعض الأطعمة كالعدس،[92] والباذنجان،[93] وبعض الفواكه كالرمان،[94] والعنب،[95] وبعض الحبوب كالحلبة،[96] وبعض البقول كالهندباء،[97] والجرجير.[98] وبعض أنواع الحلوى كالفالوذج،[99] وبعض الأشربة.[100]

وقد وضع محمد بن حجّاج اللخمي الواسطي نزيل بغداد (ت 181هـ) حديثا في فوائد الهريسة عن حذيفة مرفوعا: "اطعمني جبريل الهريسة، لأشد بها ظهري لقيام الليل"،[101] وكان محمد بن حجّاج هذا صاحب هريسة.[102]

---

91 الموضوعات: 32/1.

92 ابن الجوزي: الموضوعات: 294/2.

93 المصدر السابق: 31/3.

94 المصدر السابق: 285/2.

95 المصدر السابق: 286/2.

96 المصدر السابق: 297/2.

97 المصدر السابق: 298/2.

98 المصدر السابق: 299/2.

99 المصدر السابق: 21/3.

100 المصدر السابق: 40/3.

101 المصدر السابق: 17/3.

102 الذهبي: ميزان الاعتدال: 509/3.

ووضع فضالة بن حسين الضبي (من القرن الثاني) حديث: "ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم طيب فرده" قال ابن عدي: "انفرد بروايته فضالة، وكان عطارا، فاتهم بهذا الحديث لينفق العطر".[103]

كما وضع هناد بن إبراهيم النسفي (ت 465هـ) أحاديث في فضل البطيخ، منها حديث طويل جاء فيه: "أما أنه طعام أكله آدم في الجنة، فزن إبليس زنة تحت تخوم الأرض السابعة لما علم أن آدم أكلها، وقال: أخاف أن لا يبقى معي أحد من ذريته في النار إلا وخرج منها فإن الله بارك عليها وعلى من أكلها، فكيف يكون في النار من تبارك عليه الجبار"، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ماؤها رحمة، وحلاوتها مثل حلاوة الجنة".[104]

وكذلك وضعت أحاديث في فضل بعض الحرف والصناعات، وذم البعض، منها حديث: "عمل الأبرار من رجال أمتي الخياطة، وأعمال الأبرار من النساء الغزل".[105]

وحديث: "الناس أكفاء... إلا حائك وحجام"[106] وحديث:"أكذب الناس الصباغون والصواغون"،[107] وغيرها من الأحاديث التي يظهر فيها أنها من عمل بعض المستفيدين منها[108] ماديا أومعنويا.

د– أغراض أخرى متفرقة:

فقد وضع محمد بن عبد الملك الأنصاري المدني (من القرن الثاني) –وكان أعمى– أحاديث في فضل قيادة الأعمى، منها حديث: "من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة".[109]

ووضع سعد بن طريف الإسكاف الحنظلي الكوفي (من القرن الثاني) حديثا في ذم المعلمين، جاءه ابنه من الكتّاب يبكي، فقال: ما لك؟ قال: ضربني المعلم، فقال: أما والله لأخزينهم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: "معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين".[110]

---

103 ابن حجر: لسان الميزان: 435/4.

104 ابن الجوزي: الموضوعات: 285/2.

105 المصدر السابق: 534/2.

106 ابن الجوزي: العلل المتناهية: 128/2-129.

107 علي القاري: الأسرار المرفوعة: 300 حديث 1158، والألباني: سلسلة الضعيفة: 176/1، رقم 144.

108 انظر: الدكتور عمر فلاتة: الوضع في الحديث: 281/1.

109 الفتني: تذكرة الموضوعات: (مصدرة عن الطبعة المزيدة، 1343هـ)، ص126، والذهبي: الميزان: 631/3.

ووضع عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنبلي (ت 371هـ) – من رؤساء الحنابلة– حديثا ليدفع به خصمه، قال عمر بن المسلم: حضرت مع عبد العزيز بعض المجالس، فسئل عن فتح مكة، فقال: عنوة، فطولب بالحجة، فقال: حدثنا عبد الله حدثني أبي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس أن الصحابة اختلفوا في فتح مكة أكان صلحا أو عنوة؟ فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: "عنوة" قال ابن المسلم: فلما قمنا سألناه، فقال: "صنعته في الحال أدفع به الخصم".[111]

ذكر عن محمد بن إسحق بن حرب اللؤلؤي البلخي (من القرن الثالث) أنه كان عند المناظرة يضع في الحال، ويضع للكلام إسنادا.[112]

ووضع نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى (من القرن الثاني) وكان سائلا يتكفف الناس حديث: "ما من غني غلا سيود أنه كان أعطي قوتا في الدنيا"، وهو من تلاميذ أنس بن مالك.[113]

ووضع أبو محمد عبد الله بن عطاء الإبراهيمي (ت 476هـ) حديث: "أدوا الزكاة، وتحروا بها أهل العلم فإنهم أبر وأتقى"، وضعه مستطعما للعوام، وكان يركب الأسانيد على المتون.[114]

الأسباب المساعدة للوضع في الحديث

إن الأسباب التي تحدثت عنها في السابق، والتي كانت ذوات أهداف وغايات، لم تكن قد دفعت أصحابها إلى الوضع في الحديث والإقدام عليه لولا كانت هناك أسباب أخرى جانبية ساعدتهم على ذلك، فانتهزوها فرصة ذهبية للافتراء على النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، واتخذوها جسرا للوصول إلى أغراضهم وغاياتهم، من أهم تلك الأسباب المساعدة:

---

110 ابن حبان: المجروحين: 66/1.

111 الخطيب: تاريخ بغداد: 461/10، الذهبي: الميزان: 625/2.

112 ابن حجر: لسان الميزان: 66/5.

113 ابن حجر: تهذيب التهذيب: 471/10-472 (طبع حيدر آباد، ط/أولى، 1325هـ).

114 ابن حجر: لسان الميزان: 255/2.

1- عدم تدوين السنّة:

لا شك في أن الكتابة من أهم وسائل الحفظ والصيانة، إذ قلما يتعرض المحفوظ بها للضياع، أو التحريف، أو الزيادة، أو النقص، بينما المحفوظ في الذاكرة لا يؤمن عليه النسيان، أو الغلط، أو التحريف... كان أنس بن مالك رضي الله عنه) ت 163هـ) يقول لبنيه: "قيدوا العلم بالكتاب"،[115] بل كان يقول: "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه علما".[116] وقال التابعي البصري معاوية بن قرة (ت 113هـ): "من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما".[117]

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما (ت50هـ) يوصي بنيه وبني أخيه بكتابة الأحاديث لمن لم يحفظ، فيقول لهم: "تعلموا تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، تكونون كبارهم غدا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب".[118]

وهذا الإمام الشافعي (ت 204هـ) يرشد إلى أهميتها فيقول: "اعلموا – رحمكم الله- أن هذا العلم يندّ كما تند الإبل، فاجعلوا الكتب له حماة، والأقدام عليه رعاة".[119]

والإمام أحمد (ت241هـ) يشيد بمكانتها فيقول: "حدثونا قوم من حفظهم، وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن".[120]

وقال الإمامان أحمد ويحيى بن معين (ت 233هـ): "كل من لم يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط".[121]

ولذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم اهتماما خاصا لحفظ القرآن الكريم، فأمر بحفظه في الذاكرة، وبكتابته في الوسائل المتوفرة لديه، فكان عدد من الصحابة يكتبون الوحي بين يديه فور نزوله، وبذلك أصبح القرآن محفوظا بعيدا عن عبث العابثين بالتحريف أو النقص أو الزيادة.

---

115 رواه الحاكم في المستدرك: (مصورة عن طبعة حيدر آباد، الهند، 1344هـ)، 106/1 وصححه ووافقه الذهبي.

116 رواه الخطيب في تقييد العلم: (تحقيق يوسف العشي، ط/أولى بدمشق، 1949م)، ص96.

117 رواه الخطيب في التقييد: ص109.

118 رواه الخطيب في الكفاية: (تحقيق محمد الحافظ التيجاني، دار الكتب الحديثة ببيروت): ص229.

119 رواه الخطيب في التقييد: ص115.

120 الخطيب: التقييد: ص115.

121 ابن عبد البر: جامع بيان العلم: (تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، دار الكتب الحديثة بعابدين في القاهرة): 97.

وأما الحديث وكما قال الشيخ السباعي: "لم يكن شأنها كذلك رغم أنها مصدر من مصادر التشريع في عهد الرسول"،[122] فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بكتابته، بل نهى عنها خشية التباس القرآن مع الحديث، فانكف الصحابة – باستثناء البعض منهم– عن كتابة الحديث في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته أيضا، لئلا ينشغل به الناس عن القرآن، وسار على نهجهم التابعون أيضا، وكان يُتَلَقَّى من الأفواه إلى الصدور، وظل الأمر على عدم كتابته إلى أن خيف عليه الضياع بذهاب حملة الحديث، والكذب من أصحاب الأهواء والأغراض.

ولو كان الحديث كله مكتوبا ومدونا كما كان القرآن لكان محفوظا عن الاندثار والنسيان من ناحية، ومن التزوير والاختلاق من ناحية أخرى، ولما تجرأ أحد على وضع الأحاديث خوفا من افتضاح أمره، ولما اختلط الصحيح منها مع المكذوب، ولما اتُّهِم بالكذب من اتهم، ولما لاح للمستشرقين ومن معهم منفذ للتشكيك في السنة.

بل هنالك ما يدل على أن انتشار الأحاديث الموضوعة كان أحد عوامل تدوين السنة، يقول الإمام الزهري (ت125هـ): "لولا أحاديث تأتينا من قِبَل المشرق، ننكرها لا نعرفها، ما كتبت حديثا، ولا أذنت في كتابته".[123] والإمام الزهري هذا أحد أولئك الذين وَجَّهَ إليهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله أمره بتدوين السنة، فجمع أحاديث المدينة، وقدمه إلى عمر بن عبد العزيز، فبعث عمر إلى كل بلد دفترا من دفاتره".[124]

2– تفرق الصحابة في البلاد المفتوحة.

اقتضت السنة بوصفها مصدرا تشريعيا ثانيا بعد القرآن، دائما لكل زمان ومكان، عاما لكافة الناس والبشر، في كل مصر وعصر، أن يولي النبي صلى الله عليه وسلم جلّ اهتمامه لحفظها وصيانتها، ونشرها وتبليغها، لتبقى عاملا قويا إلى الأبد، وحجة ماضية إلى آخر الناس، فحثّ صحابته على حفظها ونشرها بقوله: "نضَّر الله امرءا سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه غيره، فربّ حامل فقه إلي ليس بفقيه".[125] وفي رواية أخرى: "نضَّر الله امرءا سمع منا شيئا،

---

122 السباعي: السنة ومكانتها: ص58–59.

123 الفسوي: (تحقيق الدكتور أكرم العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1394هـ): 637/1، والخطيب: التقييد: ص107–108.

124 ابن عبد البر: جامع بيان العلم: 76/1.

125 أخرجه أبوداود: كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم الحديث 366، (تحقيق عزت الدعاس، ط/أولى، 1973)؛ والترمذي: أبواب العلم، الحديث 2658 (تحقيق أحمد شاكر وغيره، طبع استانبول)؛ صححه الترمذي وابن حجر كما في فيض القدير للمناوي: 285/6 (دار المعرفة، بيروت، ط/2، 1391هـ).

فبلّغه كما سمعه، فربّ مبلّغ أوعى من سامع".[126] وفي حديث آخر: "ألا ليبلغ الشاهد الغائب".[127] وعندما ودَّع الرسول صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس بعدما علَّمهم قال لهم: "... احفظوه، واخبروا به من وراءكم".[128]

وحذرهم من الكذب عليه بقوله: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".[129] كما أوصاهم بالتثبت فيما يروون فقال: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع".[130] بجانب قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ (الحجرات: 6).

وعملا بما سبق من الأوامر المطلقة أو المقرونة بالترغيب لبعض الصحابة لتبليغ سنته إلى من لم تبلغه، خاصة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي اضطرهم للخروج من المدينة، والرحلة إلى أماكن شتى من أرض الله دعاة، أو فاتحين، أو أمراء، أو قضاة، فكانوا بالجزيرة، ومكة، والطائف، واليمامة، واليمن، والبحرين، ومصر، والشام، والكوفة، والبصرة، وخراسان، والمدائن، وأصفهان، وبرقة، وسمرقند، وسجستان، وبث كل واحد منهم في ناحيته، وفي البلد الذي هو به؛ ما وعاه وحفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأحاديث، وسمع منهم من التابعين، ومنهم من أتباع التابعين مَنْ لا يُحصى كثرة من مختلف الأجناس، وفي مختلف البقاع.

ففي غمرة هذه الكثرة، وافتقاد ضابط الصحة للرواية في الزمان والمكان؛ غافل الكذابون الناس، ووضعوا ما شاءوا، وتعذر بل استحال حصر ما وضعوه، وأدرك ابن عباس — رضي الله عنهما- أوائل ذلك الزمن، فقال متحسرا: "كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يُكذَب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول؛ تركنا الحديث عنه".[131]

---

126 أخرجه الترمذي: الموضع السابق، حديث 2657، وقال: "حسنٌ صحيح"، وابن ماجة: المقدمة، حديث 246 (الأعظمي)، وصححه ابن حبان والحاكم أيضاً.

127 أخرجه الستة فعند البخاري: العلم، برقم 76 وأماكن أخرى (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الإفتاء، الرياض)؛ ومسلم: القسامة، برقم 1679، وفي الحج برقم 1354 (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث الإسلامي، 1954م).

128 أخرجه مسلم: الإيمان، برقم 24.

129 حديث متواتر كما صرح به أئمة الحديث، أخرجه البخاري: العلم، حديث 107؛ ومسلم في مقدمة صحيحة: ج1، ص10 برقم 3.

130 أخرجه مسلم في المقدمة: ج1، ص10 برقم 5.

131 رواه مسلم في مقدمة صحيحة: 1/12-13.

وكان العراق والشام أكبر البلاد كذبا في الحديث؛ وإن كان نصيب العراق فيه أكبر من الشام حيث كانت مسرحا للحوادث المؤسفة والفتن المؤلمة، فلذلك تدهورت سمعة العراقيين العلمية في الأقطار المختلفة منذ فترة مبكرة، فقالت عائشة رضي الله عنها: "يا أهل العراق أهل الشام خير منكم، خرج إليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، فحدثونا بما نعرف، وخرج إليكم نفر قليل من أصحابه، فحدثتمونا بما نعرف، وبما لا نعرف".[132] وقال عبد الله بن عمرو بن العاص في مكة: "إن من أهل العراق قوما يكذبون ويكذبون ويسخرون".[133] وقال الزهري (ت114هـ): "إذا سمعت بالحديث العراقي فاردد به، ثم اردد به".[134] حتى جعلها الإمام مالك دارا للضرب ذكر له الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت198هـ) أن ما سمعه من الحديث بالمدينة خلال أربعين يوما يسمعه في يوم واحد بالعراق، فقال مالك: "من أين لنا دار الضرب التي عندكم!! تضربون بالليل وتنفقون بالنهار".[135]

3- تساهل بعض الخلفاء مع الوضاعين:

ومن جملة الأسباب التي ساعدت الوضع في الحديث، خاصة في الدولة العباسية هو كما قال الشيخ السباعي: "تساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين، لأنهم لو وقفوا منهم موقف الجد، وقضوا على رؤسائهم –كما هو حكم الله في مثل هذه الحالة– لما انتشرت ظاهرة الوضع ذلك الانتشار، بل رأينا مع الأسف أن خليفة كالمهدي رغما عن اعترافه بكذب غياث بن إبراهيم وزيادته في الحديث تقرباً إلى هواه، كافأه بعشرة آلاف درهم... وما تقوله الرواية من أنه أمر بذبح الحمام لأنه كان سببا في هذه الكذبة، فهو مدعاة للعجب... إذ أن خيرا للمهدي أن يؤدب هذا الكاذب الفاجر، ويترك الحمام من غير ذبح، بدلا من أن يذبح الحمام ويترك من يستحق الموت حرا طليقا ينعم بمال المسلمين، بل نحن نرى للمهدي تساهلا آخر مع كذاب آخر وهو مقاتل بن سليمان البلخي، فقد قال له مقاتل: "إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس وبنيه" فقال له المهدي: لا حاجة لي فيها... ثم لم ينقل معه شيئا. بل نجد أنهم ذكروا عن الرشيد وقد روى له أبو البختري الكذاب حديثا مكذوبا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطير

---

132 ابن عساكر: التاريخ الكبير: 69/1، (نقلاً من بحوث في السنة المشرفة للدكتور أكرم العمري: ص26).

133 ابن سعد: الطبقات: 267/4، (نقلاً من الدكتور أكرم العمري).

134 ابن عساكر: 69/1، (نقلاً من الدكتور أكرم العمري).

135 ابن تيمية: المنتقى من منهاج الاعتدال: 88 (نقلاً من د. أكرم: ص27).

الحمام إلا يزيد في تأنيب أبي البختري – وقد أدرك كذبه- على أن يقول له: "اخرج عني لولا أنك من قريش لعزلتك" وقد كان هذا الكذاب قاضيا للرشيد.

"إن هذه المواقف مما يحاسب الله عليها هؤلاء الخلفاء إن صحت عنهم تلك الروايات. وإذا كنا نذكر لهم فضل بعضهم للزنادقة الذين أفسدوا دين الإسلام، فإننا لا ننكر أنه من الواضح التي حملتهم على تعقبهم بالقتل هو أنهم كانوا خارجين على حكمهم بدليل أننا لم نرهم فعلوا بالكذابين والوضاعين الذين تقربوا إليهم بالكذب على رسول الله إرضاء لأهوائهم، عشر ما فعلوه مع الخارجين على حكمهم، ولقد كان القصاصون يملأون المساجد بأكاذيبهم على مسمع من الأمراء والملوك، وكان الكذابون من الزهاد وغيرهم يسرحون ويمرحون دون أن يجدوا من يضرب على أيديهم ويوقفهم عند حدهم. ولولا أن هيأ الله لدينه العلماء الأثبات والأئمة الحفاظ في كل مصر وعصر، يذبون عن شريعة الله تحريف المحرفين، ويجردون سنة رسول الله من كل ما خالطها من دس وتحريف، لكانت المصيبة شاملة، ولكانت معالم الحق في دين الله مدروسة مطموسة، ولا نستطيع أن نهتدي إليها إلا بشق الأنفس، وهيهات أن نصل إلى الباب الحق لولا نهضة السلف الجبارة التي قاوموا بها الوضع والوضاعين، وحفظوا بها حديث رسول الله من الكذب والكذابين إلى يوم الدين؟.[136]

4- ابتلاء الراوي بمن يدسّ في كتابه أو يلقّنه ما ليس من حديثه:

ومن الأسباب المساعدة لدخول الوضع في الحديث، ابتلاء بعض المحدثين ممن فيهم غفلة، برجاء سوء – من ربيب أو ابن أو... أو غيرهم- يدسّون في كتبهم أو يلقنونهم أحاديث موضوعة ومنها كثير، وهم لا يشعرون، فيروونها على أنها من أحاديثهم، منهم:

1- حماد بن سلمة بن دينار البصري (ت 167هـ) ثقة وتغير حفظه بآخر. ونقل ابن الجوزي عن ابن عدي أن ابن أبي العوجاء[137] كان ربيب حماد بن سلمة، وأنه كان يدسّ في كتبه أحاديث.[138]

---

136 السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص88-89 بقليل من التصرف في مكان واحد.

137 هو الذي قتله المنصور العباسي كما تقدم.,

138 ابن الجوزي: الموضوعات: 100/1. وابن حجر: التقريب برقم 1499.

2- قيس بن الربيع الكوفي (ت 167هـ أو 168هـ) صدوق تغير. قال ابن نمير: "إن الناس اختلفوا في أمره وكان له ابن سوء فكان هو آفته، نظر أصحاب الحديث في كتبه، فأنكروا حديثه وظنوا أن ابنه غيّرها".[139] وقال فيه ابن حبان: "رأيته صدوقا مأمونا حيث كان شابا، فلما كبر ساء حفظه، وامتحن بابن سوء فكان يدخل عليه الحديث، فيجيب فيه ثقة منه بابنه".[140]

وقال عفان: "كنت أسمع الناس يذكرون قيسا، فلم أدر ما علته، فلما قدمت الكوفة أتيناه فجلسنا إليه، فجعل ابنه يلقّنه...".[141] وقال عمرو بن سعيد: كنت في مجلس أبي داود الطياسي بالبصرة، فذكر قيس بن الربيع، فقالوا: لا حاجة لنا فيه. فقال: اكتبوا فإن له في صدري سبعة آلاف تتجلجل".[142]

وقال أحمد: "كان له ابن يأخذ حديث مسفر وسفيان والمتقدمين، فيدخلها في حديث أبيه وهو لا يعلم".[143]

3- عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي المصيصي الخراساني. قال ابن حبان: "كان له ابن سوء يدخل عليه الحديث عن مالك وإبراهيم بن سعد وذويهم"،[144] وقال أيضا: "كان تُقَلَّبُ له الأخبار فيجيب فيها، كان آفته ابنه"، وقال أيضا: "ولعله أُقْلِب له على مالك أكثر من مائة وخمسين حديث، فحدث بها كلها، وروى عن مالك وإبراهيم بن سعد نسخة طويلة أكثرها مقلوبة".[145]

4- عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد، المصري (ت 223هـ) صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، وقعت المناكير في حديثه من قبل جاء له سوء، قال ابن خزيمة: "كان له جاء بينه وبينه عداوة، فكان يضع الحديث على شيخ عبد الله بن صالح، ويكتب في قرطاس بخط يشبه خط عبد الله، ويطرح في داره في وسط كتبه، فيجده عبد الله فيحدث به، فيتوهم أنه خطه وسماعه، فمن ناحيته وقع المناكير في أخباره".[146]

---

139 ابن حبان: المجروحين: 78/1، 219/2. والتقريب برقم 5573.

140 المصدر السابق: 218/2.

141 المصدر السابق: 219/2.

142 الذهبي: ميزان الاعتدال: 394/3.

143 المصدر السابق: 396/3.

144 المجروحين: 77/1.

145 المجروحين: 39/2، 40. وأبا حجر: لسان الميزان: 334/3-335.

146 المجروحين: 40/2. والميزان: 440/2-445.

5- سفيان بن وكيع بن الجرّاح الرؤاسي الكوفي (ت 247هـ). قال البخاري: "يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها".[147] وقال ابن أبي حاتم: "أشار أبي عليه ن يغيّر ورّاقه فإنه أفسد حديثه، وقال له: لا تحدث إلا من أصولك. فقال: سأفعل. ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه".[148] وقال ابن حبان: "كان شيخا فاضلا صدوقا، إلا أنه ابتلي بوراق سوء، كان يدخل عليه، فكُلِّم في ذلك، فلم يرجع".[149]

6- جماعة من أهل المدينة: امتحنوا بحبيب بن أبي حبيب الوراق، المصري، ثم المدني، الخراساني الأصل، كاتب مالك (ت 218هـ). يروي عن مالك وربيعة، وكان يورّق بالمدينة على الشيخ، ويروي عن الثقات الموضوعات، وكان يدخل عليهم ما ليس من أحاديثهم، فمن سمع بقراءته عليهم فسماعه لا شيء.[150]

7- هانىء بن المتوكل الإسكندراني (ت242هـ) روى عنه أهل مصر والغرباء، كان يُدْخَل عليه لما كبر، فيجيب، فكثر المناكير في روايته، فلا يجوز الاحتجاج به بحال.[151]

8- داود بن يزيد الأودي الكوفي (ت151هـ)، هم عم الشعبي ويروي عنه أيضا، ضعيف، قال ابن حبان: قال أحمد: لقِّن غياث[152] داود الأودي إن الشعبي عن علي قال: "لا يكون مهر أقل من عشرة دراهم" فصار يحدث.[153]

هؤلاء وغيرهم ابتلوا بأولئك الرجال الذين ساءت طينتهم، وأملى عليه الشيطان أن يتصرفوا في كتب أولئك المحدثين، استغلالا لغفلتهم أو لثقتهم بهم، فأفسدوا عليهم أحاديثهم، فاستحقوا الترك، ويمكن الاطلاع على أحاديثهم في كتب تراجمهم مثل: الكامل لابن عدي، والمجروحين لابن حبان، وميزان الاعتدال للذهبي.

5- خطأ الراوي بالوهم أو النسيان:

---

147 الميزان: 173/2.

148 الميزان: 173/2.

149 المجروحين: 359/1. والتقريب برقم 2456.

150 المجروحين: 77/1، 265. الميزان: 452/1.

151 المجروحين: 78/1، 97. الميزان: 291/4.

152 هو غياث بن إبراهيم الذي حدث للمهدي حديث "لا نصل..." وزاد "ولا جناح" تقدم ذكره.

153 المجروحين: 78/1، 289. الميزان: 21/2-22. التقريب برقم 1818. وقول علي هذا أخرجه الدار قطني في سننه كما في نصب الراية للزيلعي: 199/3 (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ثالثة، 1987م).

لعله لا يَصِمنا أحد بالمجازفة في عدّ خطأ الرواة من الأسباب المساعدة للواضع في الحديث، إذا عرفنا أن الكذب إنما هو عدم مطابقة الشيء للواقع، سواء حصل ذلك بالتعمد أو بالخطأ، خاصة إذا أدركنا أن عددا لا يستهان به من الموضوعات قد تسللت إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الطريق، خطأ الرواة – ثقاة أو ضعفاء- بالوهم أو النسيان.[154] والذي لم يعصم منه إنسان مهما كان ضابطا يقظا في عموم الأحوال، ويرمي هذا السبب بجذوره إلى عصر الرواية بجميع طبقاتها، ما عدا طبقة الصحابة، فإن الأوهام المنسوبة إليهم إما غير ثابتة أو غير مسلم بها، خاصة التي اكتشفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في روايات بعض الصحابة، ونكتفي بذكر بعض الأمثلة متوخيا فيها ما صرَّح فيه حذاق الفن بوهم الراوي أو نسيانه، أو ما اطلعنا عليه من خلال جمع طرق الحديث الأخرى:

1- ما ذكر الإمام الذهبي في ترجمة "نعيم بن عماد الخزاعي" من حديث "تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنة على أمتي قومٌ يقيسون الأمور برأيهم، فيحلّون الحرام ويحرمون الحلال". قال محمد بن علي بن حمزة المروزي: سألت يحيى بن معين عن هذا فقال: ليس له أصل. قلت: فنعيم؟ قال: ثقة. قلت: كيف يحدث ثقة بباطل؟ قال: ثبّته له. إلا أن الذهبي – بعد أن ذكر ثلاثة متابعين آخرين لنعيم عن شيخه عيسى بن يونس- قال: "هؤلاء أربعة، لا يجوز في العادة أن يتفقوا على باطل، فإن كان خطأ فمن عيسى بن يونس".[155] وكلا الراويين من الثقات خاصة عيسى بن يونس؛[156] وإن كان في نعيم كلامٌ من قبل حفظه.[157]

2- ما رواه أبو داود من طرق عن قتادة عن الحسن البصري عن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه".[158] ورواه كذلك الترمذي والنسائي وابن ماجه...[159] ولكن ورد في إحدى طرق أبي داود زيادة، وهي أن الراوي بعد روايته نص هذا الحديث عن قتادة قال: "ثم إن الحسن نسي

---

154 من أفضل مطاف ذلك: الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي صدرت منها خمسة أجاء، ندعو الله لتوفيقه بالإكمال.

155 ميزان الاعتدال: 4/267-268.

156 ابن حجر: التقريب برقم 5341.

157 المصدر السابق برقم 7166.

158 أبوداود: الديات، حديث 4517. وهو حديث صحيح.

159 الترمذي: الديات، حديث 1414؛ النسائي: المقدمة، حديث 4741؛ ابن ماجة: الديات، حديث 2695 (تحقيق الأعظمي، نشره المحقق، ط/أولى، 1983م).

هذا الحديث، فكان يقول: "لا يقتل حر بعبد".[160] وقد دوفع عن الحسن نسيانه، وأوِّل بتأويلات، ولكن لا يضر بهذه القاعدة التي ذكرنا تحتها هذا الحديث إذ نص فيه قتادة بنسيان الحسن، والحسن لا خلاف في ثقته وإن اختلف في سماعه من سمرة، والراجح عند البخاري وغيره ثبوت سماعه منه.[161]

3- ما رواه أبو داود من طريق همام حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع، ويحلق رأسه، ويُدَمَّى"، فكان قتادة إذا سئل عن الدم كيف يصنع به قال: "إذا ذُبِحَت العقيقة أُخِذَت منها صوفة، واسْتُقْبِلَت به أوادجها، ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل على رأسه مثل الخيط، ثم يغسل رأسه بعد، ويحلق".[162] قال أبو داود: "وهذا وهم من همام" ويدمى"، وخولف وإنما قالوا: "يُسَمَّى". ثم أكّد أبو داود قوله هذا بأن روى ذلك الحديث عن زملاء همام الآخرين بلفظ: "يسمى".[163]

4- ما رواه ابن ماجه عن شيخه إسماعيل بن محمد الطلحي قال: "حدثنا ثابت بن موسى أبو يزيد الرقاشي عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه بالنهار".[164] قال البيهقي: "تواردت أقوال الأئمة على عدّ هذا الحديث في الموضوع على سبيل الغلط لا التعمد".[165] وذلك كما ذكر الذهبي في توجيه هذا الغلط حكاية عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكر هذا الحديث فقال: "باطل شُبِّه على ثابت، وذاك أن شريكا كان مزّاحا، وكان ثابت رجلا صالحا، فيشبه أن يكون ثابت دخل على شريك وهو يقول: "حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم"، فالتفت شريك

---

160 أبوداود: حديث 4517.

161 الخطابي: معالم السنن: الديات، (تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط/أولى، 1991م): ج4، ص9، حديث 1193.

162 أبو داود: حديث 2837. ورواه: أحمد: ج5، ص17-18؛ والدارمي: 81/2 (دار إحياء السنة النبوية؛ والبيهقي: ج9، ص299، طبع حيدر آباد، الهند).

163 أبو داود: عقب الحديث 2838. والترمذي: الأضاحي، حديث 1522؛ والنسائي: العقيقة، حديث 4225، وابن ماجه: الذبائح، حديث 3203 – الأعظمي، وهو حديث صحيح، ويراجع للتفصيل: الألباني: إرواء الغليل: 385/4 حديث 1165 (المكتب الإسلامي، بيروت، ط/أولى، 1979م).

164 ابن ماجة: حديث 1327 (تحقيق الأعظمي).

165 السندي: شرح ابن ماجة: الصلاة، باب جاء في قيام الليل (دار الجيل، بيروت)، 400/1.

فرأى ثابتا فقال يباسطه: "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار"؛ فظن ثابت لغفلته أن هذا القول هو ضمن السند الذي قرأه".[166]

وقال ابن حبان: "وهذا قول شريك قاله عقيب حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد" فأدرج ثابت في الخبر، وجعل قول شريك كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم سرق هذا من ثابت جماعة ضعفاء، وهو ثوابه عن شريك".[167]

5- ما ورد عن ابن عدي والبيهقي من طريق ابن لهيعة عن يزيد أبي حبيب أن أبا الخير أخبره أنه سمع عقبة بن عامر مرفوعا: "بئس القوم قوم لا يُنْزِلون الضيف".[168] ابن لهيعة سيء الحفظ والخطأ منه، والصواب بلفظ "لا خير فيمن لا يضيف، رواه أحمد والحربي والخرائطي.[169]

6- ما رواه ابن عدي من طريق يونس بن بكير عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب مرفوعا: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".[170] زيادة قوله "ليضل به الناس" لم ترد في شواهد أخرى للحديث، وأعلمه أبو نعيم والحاكم بأن يونس بن بكير وهم فيه.[171] وأصل الحديث بدون تلك الزيادة صحيح، بل متواتر كما قال أئمة الحديث.

خلاصة القول:

بعد هذا التطواف القصير بين أكثر من خمسين كتابا من كتب التاريخ، والرجال، والأحاديث الموضوعة، والفرق والنحل، والحديث وعلومه، بحثا عن أسباب الوضع في الحديث وجذوره التاريخية التسلسلية، وصلنا في نهاية المطاف –

---

166 الذهبي: الميزان: ج1، ص376.

167 ابن حبان: المجروحين: ج1، ص207. وينظر: العجلوني: كشف الخفاء: ج1، ص378 (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

168 ابن عدي: الكامل: ج4، ص1466؛ والبيهقي، شعب الإيمان (تحقيق أبي هاجر زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى، 1990م)، 91/7، حديث 588.

169 الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة: حديث 2025.

170 ابن عدي: الكامل: ج1، ص19؛ ابن الجوزي: الموضوعات: ج1، ص96.

171 ينظر الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة: حديث 2030 (مكتب المعارف، الرياض، ط/أولى، 1996م).

كما عرفنا- إلى أن تلك الأسباب تنقسم إلى قسمين: أسباب هادفة قصدها أصحابها، وأسباب مساعدة حصلت دون قصد.

أما الأسباب الهادفة فهي ثمانية كالتالي:

1- الانتقام من الإسلام والمسلمين: هو أول الأسباب للوضع ظهورا، دبَّرته الأمم المنكوبة على أيدي المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس، ونفّذه أحد أبناء يهود اليمن، وهو عبد الله بن سبأ، الذي وضع حديث وصاية علي بن أبي طالب، واستطاع من خلال أفكاره وتحركاته قتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتفريق المسلمين بين شيعة علي وأنصار معاوية، وخلق العداء الدائم بينهم، وضرب بعضهم رقاب بعض، وحقق بهذا ما كانت تصبو إليه أمته من الانتقام من الإسلام والمسلمين.

2- نصرة الأحزاب والأهواء السياسية: نتيجة للخلاف القائم على أشده بين شيعة علي وأنصار معاوية ظهر اتجاه تأييد إمام الفريق بأحاديث في فضله، وأحاديث في ذم خصومه، فقام به كل فريق؛ وإن كان نصيب الشيعة منه كنصيب الأسد من فريسته، كما وضع بعض الجهلة من أهل السنة أحاديث في فضل الشيخين وعثمان انتصارا لهم، والبعض منهم وضعوا أحاديث في فضائل الخلفاء الأربعة مجتمعة دأبا للصدع بين أهل السنة والشيعة.

3- نصرة المذاهب العقدية: وفي الربع الأخير من القرن الأول (سنة 75هـ- 86هـ) ظهرت على أفق الإسلام فرق القدرية والجبرية، والمرجئة والجهمية بأفكار غريبة في باب العقائد، ووضعوا أحاديث في نصرة مذاهبهم العقدية وآرائهم الفاسدة، وقابلهم من أهل السنة من أخذتهم العزة بالإثم، فوضعوا أحاديث في ذم تلك الفرق.

4- تنفير الناس عن الإسلام: تولى كبره جماعة من الزنادقة والملحدين الذين اندسّوا في صفوف المسلمين لإفساد الدين عليهم، وإيقاع الشكوك في قلوبهم، وظهروا على مدى القرن الثاني في عهد الخلفاء العباسيين المنصور (136-158هـ) والمهدي (158هـ- 169هـ) وهارون الرشيد (170هـ- 193هـ)، ووضعوا في مختلف مجالات الإسلام، خاصة العقيدة، آلافا من الأحاديث مما تستهجنه النفوس، وتستحيله العقول، قاصدين بذلك تشويه صورة الإسلام، وإظهاره بمظهر الدين اللامعقول، ليتنفر عنه الناس، ويسخروا منه.

5- العصبية القبلية للجنس والبلد: أقرب زمن لظهور هذه الظاهرة هو القرن الثاني، حيث استقر العرب في المدن المفتوحة، واختلطوا بالأعاجم، بجانب إيثار الخلفاء بعض القبائل والشعوب، وتفضيلهم بعض الأجناس على الأخرى، فوضعت أحاديث في فضل قبيلة وجنس وبلد مقابل أخرى.

6- الرغبة في صلاح الناس وزهدهم: يبدو من تواريخ وفيات أصحاب هذا السبب أنه ظهر أيضا في القرن الثاني عندما لاحظوا أن الناس انشغلوا بالدنيا عن الآخرة، أو عن القرآن بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق، فوضعوا أحاديث في فضل القرآن والصلاح والزهد، والترغيب، وترقيق القلوب.

7- نصرة المذاهب الفقهية: يبدو لي أن هذا الاتجاه أخذ في الظهور في القرن الثالث عقب وفاة الإمام الشافعي (ت204هـ) عندما بلغت الخلافات بين الأحناف والشوافع أوجها، فوضع سخفاء العقول وضعفاء الذمة من أتباع المذهبين أحاديث في فضل إمامهم، وأحاديث في ذم إمام الفريق الآخر، وأحاديث في بعض المسائل الفرعية الخلافية تأييدا لقول صاحبهم، ونصرة لآرائه.

8- الأغراض الدنيوية الشخصية: ليست الدنيا خلوا منذ فجرها عن أمثال من يضحون بدينهم وقيمه الجليلة في سبيل حطام يجمعونه، ومنزلة ينشدونها، وشهرة يكتسبونها، إيثارا لدنياهم على أخراهم، وتفضيلا لعاجلهم على آجلهم، وهذا الذي رأيناه بوضوح تحت هذا السبب للوضع في الحديث، فيأتي وضاع ويضع الحديث في فضل هوى أميره أو خليفته، ويأتي قاصّ فيضع الحديث في القصص والوعظ، وتاجر في فضل سلعه التجارية، وأعمى في فضل قيادته، ووضاع في ذم المعلم على ضربه طلابه، ومناظر لإقناع خصمه، ومتكفف في فضل سدّ حاجته، وعالم في فضل إطعامه، وما إلى ذلك من الأغراض الدنيوية الأخرى الشخصية. ولما كان أصحاب هذا السبب من مختلف القرون فيما بين القرن الثاني والخامس أخرناه عن سابقاته في الترتيب.

وأما الأسباب المساعدة للوضع في الحديث، التي حصلت دون قصد من أحد فهي حسبما توصلنا إليها خمسة كالآتي:

1- عدم تدوين السنة: تدوينا رسميا بصفة جماعية، فانتهزه الوضاعون فرصة ثمينة للوصول إلى أغراضهم، إذ لولاه لما تجرأ أحد على وضع الحديث خوفا من افتضاح أمره، والكشف عن بواطنه.

2- تفرق الصحابة في البلاد المفتوحة: دعاة وفاتحين، قضاة أو أمراء، فغافل الكذابون الناس، ووضعوا ما شاءوا، ونسبوه إلى من ببلادهم من الصحابة.

3- تساهل بعض الخلفاء مع الوضاعين: شجعهم على المزيد من وضع الأحاديث كما حصل من المهدي تجاه غياث بن إبراهيم ومقاتل بن سليمان البلخي، وهارون الرشيد مع أبي البختري الكذاب.

4- ابتلاء الراوي بمن يدس في كتابه أو يلقنه ما ليس من حديثه: كما حصل ذلك مع حماد بن سلمة وقيس بن الربيع الكوفي وآخرين من الثقاة، ودخل عن طريقهم بعض الأحاديث الموضوعة في الحديث.

5- خطأ الراوي بالوهم أو النسيان: كما حصل ذلك مع نعيم بن حماد أو عيسى بن يونس، والحسن البصري وقتادة، وغيرهم كثيرون، وقد دخل في الحديث عن طريقهم كثير من الموضوعات والبواطيل.

هذه هي أسباب الوضع في الحديث، والجذور التاريخية له التي توصلنا إليها حسب علمنا المتواضع، وربما نحن بهذا الجهد الحقير استطعنا تقديم جديد في الموضوع، سواء تصنيفا أو زيادة، أو تبسيطا. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وتقبل الله منا ومنكم صالح أعمالنا، ونعم نعم المولى ونعم النصير.